المورد

١٢٠

مجلة تراثية فصلية محكمة

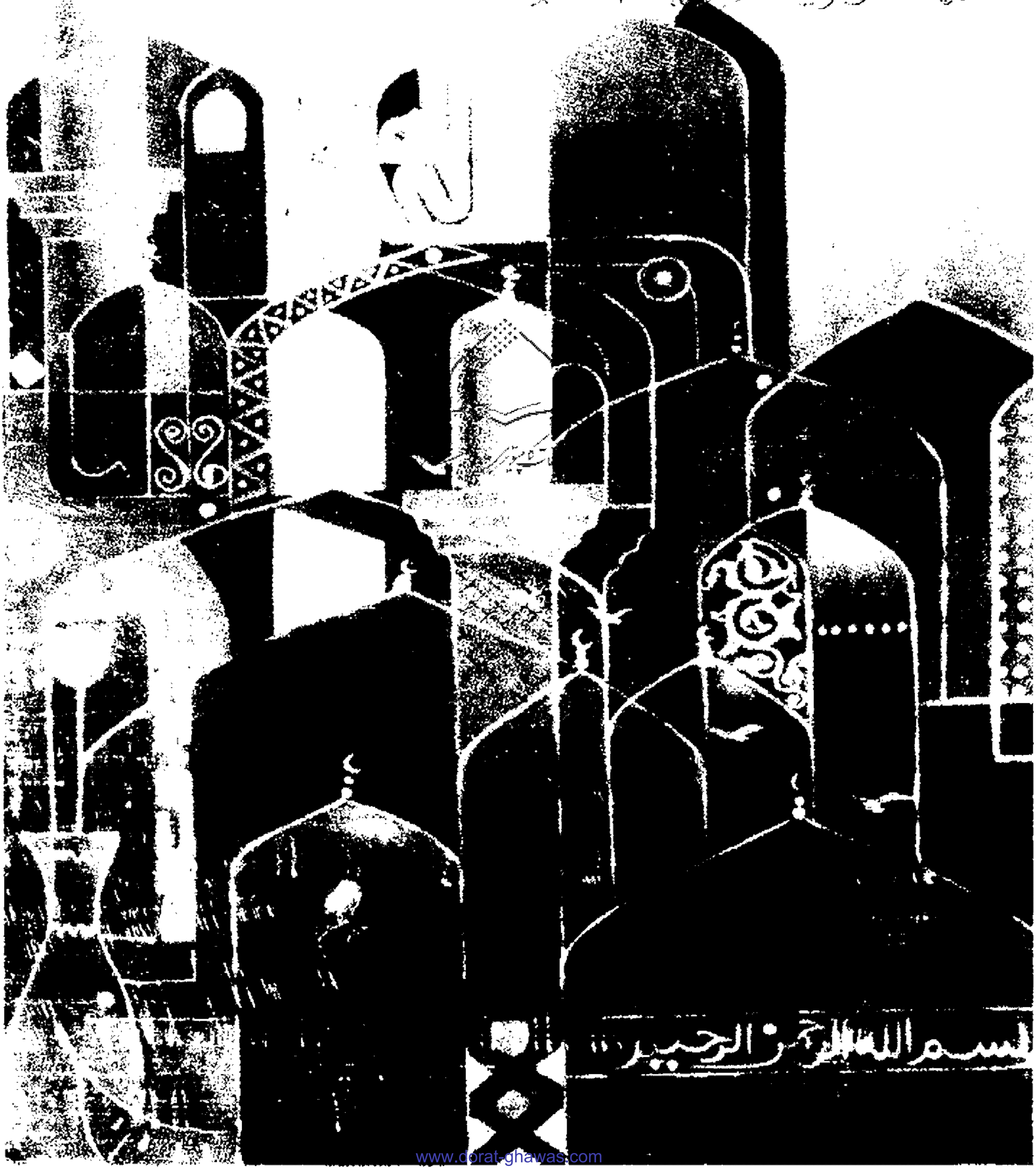

www.dorat-ghawas.com

في هذا العدد

المجلد الثلاثون ـ العدد الرابع ـ ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ

المحتوى

■ **المورِدة**

• قاتَلَهُمُ اللّـهُ أنى يُؤفكون .... د . محمد البكاء ٣ ـ ٤

■ **بحوث ودراسات**

• اليهود في القرآن الكريم .... د . محمد البكاء ٥ ـ ١٥

• تجارة العرب المسلمين الى البيزنطية .... د . طه خضر عبيد ١٦ ـ ١٩

• التقسيم الاقليمي في كتب التراجم الادبية
نشأة ـ تطور ـ نتائج .... د . احمد النجدي ٢٠ ـ ٢٨

• صور الشعراء الفنية ـ قبل الاسلام ـ
من الوجهة النفسية .... د . احمد اسماعيل النعيمي ٢٩ ـ ٣٩

• حسين بن علي العشاري
دراسة تحليلية في شعره .... أ . د . عباس مصطفى الصالحي ٤٠ ـ ٥٧

• الفكاهة والغزل في شعر الفقيه
المجاهد محمد سعيد الحبوبي
١٨٤٩ ـ ١٩١٥ .... أ . د . محمد حسن علي مجيد ٥٨ ـ ٦٩

• مقابسات في الفلسفة الصوفية
القسم التاسع ـ الجزء الاول .... عزيز عارف ٧٠ ـ ٧٨

■ **نصوص محققة**

• شعر ابن مناذر / ٥٧٠هـ القسم الاول .... جمع وتحقيق عبد العزيز ابراهيم ٧٩ ـ ٩٥

• شعر ابن لبون التجيبي المتوفى
سنة ١٩٨هـ القسم الاول .... د . هدى شوكت بهنام ٩٦ ـ ١٠٩

■ **نقد وتعقيب**

• كتاب « نسيم السحر » للثعالبي
توثيق وتاصيل .... د . محمود عبد الله الجادر ١١٠ ـ ١٢٠

• اخبار التراث العربي .... حسن عريبي الخالدي ١٢١ ـ ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

اليهود

في القرآن الكريم

بحث في الدلالة والمعنى

• د. محمد عبد المطلب البكاء

الهَوْدُ : التَّوبةُ ، هادَ يَهود هَوْداً وتَهَوَّدَ : تاب ورجع الى الحق ، فهو هائِدٌ ، وقومٌ هودٌ : مِثْلُ حائِكٍ وحُوكٍ ، وبازِلٍ وبُزْلٍ ، قال أعرابي :

إنّي امرؤٌ من مدحهِ هائِد

وفي التنزيل العزيز : « إنّا هُدْنا إليك »(1) أي : تبنا أليك (2) ، وهو قول مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم . قال ابن سيده : عدّاه بـ (الى) لأنّ فيه معنى رجعنا ، وقيل : معناه تبنا إليك ، ورجعنا وقرّبنا من المغفرة ، وكذلك قوله تعالى : « فَتُوبوا الى بارِئِكُمْ (3) » وقال زهير :

سِوَى رُبَعٍ لم يأتِ فيها (مَخافةً)
ولا رَهَقاً مِنْ عابدٍ مُتَهَوِّدِ

قال ثعلب : المتهوِّد : المتحرّج ، من قول الله تبارك وتعالى : « إنّا هُدنا إليك » أي تبنا إليك . وروى الأثرم : متهوِّد : مُتَخشِّعٌ (4) . وقال الزجاج في تفسير قوله تعالى : « هُدْنا إليك » أي : تبنا اليك»(5) .

وقيل : المُتَهوِّد المُتقرِّبُ . شمر : المُتَهَوِّدُ المتوصّل بهوادة إليه ، قال : قاله ابن الاعرابي . والتَّهوُّدُ : التوبة والعمل الصالح (6) .

ونقل صاحب اللسان عن ابن الاعرابي : (هادَ) إذا رجع من خيرٍ الى شرّ أو من شرّ الى خيرٍ . وهادَ : إذا عقل .

ويَهُودُ : اسمٌ للقبيلة ، قال :

أولئِكَ أَوْلى من يَهُودَ بِمِدْحَةٍ
إذا أنت يوماً قُلْتَها لم تُؤَنِّبِ (7) .

والبيت من شواهد سيبويه من دون نسبه ، قال في « هذا باب ما لايقع إلا اسماً للقبيلة » .

كما أنّ عُمَان لم يقع إلا اسماً لمؤنث ، وكان التانيث هو الغالب عليها . وذلك : مَجوس ، ويَهود . قال امرؤ القيس :

أحارِ أريكَ بَرْقاً هَبَّ وَهْناً
كنار مجوسَ تَسْتَعِرُ استعارا

فلو سميت رجلاً بـ (مجوس) لم تصرفه ، كما لاتصرفه إذا سميته بعُمان (8) .

قال الأعلم الشنتمري : وأنشد (سيبويه) لرجل من الانصار :

اولئك أولى من يَهود بِمِدْحَةٍ
إذا أنتَ يوماً قُلْتَها لَمْ تُؤَنِّبِ

www.dorat-ghawas.com

الشاهد في جعل (يَهُوذ) اسماً علماً للقبيلة ، والقول فيه كالقول في مَجُوس ، إلا أنَّ الزيادة في أوله تمنعه من الصرف إنْ جُعل اسماً للحيِّ ، واشتقاقه من : هادَ يَهُودُ ، إذا تاب عن الذنب من قوله جلَّ وعزَّ : «إنا هُدْنا إليك » . أي : تُبْنا .

يقول : مَدْحُ المسلمين من المهاجرين والانصار أولى من مدح اليهود من قُرَيْظَة والنضير ، وأجدر أن لايؤنب مادحهم لفضلهم عليه . والتأنيب : الملامة . يقول هذا للعباس بن مرداس ، وكان يمدحُ بني قريظة[٩] .

ونسب د . زهير عبد المحسن في تحقيقه (تحصيل عين الذهب) البيت لخوّات بن جبير يرد على العباس بن مرداس؟[١٠] . وذكر ابو سعيد السيرافي (البيت) ، وقال : قال الانصاري يرد على العباس بن مرداس ، وكان قد مدح بني قريظة وهم يهود ، فمدح الانصاري المسلمين ، فقال : (البيت)[١١] .

وفي شرح قول سيبويه ، قال السيرافي :

قال أبو سعيد السيرافي : اعلم أن (يهود) و (مجوس) اسمان لجماعة أهل هاتين الملتين ، كما أن قريش اسماً لجماعة القبيلة الذين هم ولد للنضر بن كنانة ، ولم يجعلا اسمين لمذكرين ، كما أن عُمان اسم مؤنث وضعت على الناحية المعروفة بعُمان ، فلا يصرف مجوس ويهود لاجتماع التانيث والتعريف فيهما .

ولو سميت رجلًا بـ(مجوس) أو (يهود) أو (عُمان) لم تصرفه لاجتماع التانيث ، والتعريف فيهما ، واعلم أن (مجوس) و (يهود) قد يأتيان على وجه آخر ، وهو أن تجعلهما جمعاً ليهوديّ ومجوسيّ فتجعلهما من الجموع التي بينها وبين واحدها ياء النسبة ، كقولهم : زنجي وزنج ، فزنجي واحد ، وزنج جمع ، وكذلك يهودي واحد ويهود جمع فهذا مصروف ، وهو نكرة وتدخله الالف واللام للتعريف ، فيقال : اليهود والمجوس ، كما يقال الاعراب والزنج ، وهذا الجمع الذي بينه وبين واحده (الياء) كالجمع الذي بينه وبين واحده (الهاء) كقولنا : تمرة وتمر ، وشعيرة وشعير[١٢] .

وقال الخليل : سُميّت اليهود اشتقاقاً من هادوا ، أي : تابوا ، ويقال : نُسِبوا الى يهوذا ، وهو أكبر ولد يعقوب ، وحُوِّلت الذال الى الدال حين عُرِّبت [١٣] والى القول الاول ذهب الزجاج ، قال : (هادوا) أصله في اللغة تابوا[١٤] .

أما قوله : إنَّما اسم هذه القبيلة (يَهُوذ) فمعرب بقلب الذال دالًا ، قال ابن سيده : وليس هذا بقويّ . وقالوا : اليهود فادخلوا الالف واللام فيها على إرادة النسب يريدون (اليهوديين) . وقوله تعالى : « وعلى الذين هادُوا حَرَّمنا كُلَّ ذي ظُفُر »[١٥] معناه دخل في اليهودية[١٦] . و « كُلَّ ذِي ظفر » يعني به الإبلُ والنعامُ ، لان النعام ذوات ظفر كالابل[١٧] .

وقال الفراء في قوله تعالى : « وقالوا لَنْ يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان هُوداً أو نصارى »[١٨] قال : يريد يَهُوداً فحذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية[١٩] . قال العكبري : وهو بعيداً جداً[٢٠] .

وفي قراءة أبيّ : « إلا من كان يهودياً أو نصرانياً » . قال : وقد يجوز أن يجعل (هُوداً) . جمعاً واحده هائِدٌ . مثل : حائل وعائط من النُّوق ، والجمع حوُل وعُوط ، وجمع اليهودي يَهود ، كما يقال في المجوسيّ مَجُوس ، وفي العجمي والعربي عجم وعرب . وأرادوا بـ(اليهود) اليهوديِّين ، ولكنهم حذفوا ياء الإضافة ، كما قالوا : زِنْجِيٌّ وزنْج ، وإنما عُرِّف على هذا الحد فجمع على قياس شعيرة وشعير ، ثم عرّف الجمع بالالف واللام ، ولولا ذلك لم يجز دخول الالف واللام عليه لأنه معرفة مؤنث فجرى في كلامهم مجرى القبيلة ، ولم يجعل كالحيّ ، وأنشد علي بن سليمان النحوي :

فَرَّت يهودُ وأسْلمت جيرانُها
صَمِّي ، لما فعلت يهود ، صَمامِ [٢١]

وقال سيبويه : وأما قولهم : (اليهود والمجوس) فإنّما أدخلوا الالف واللام ههنا كما أدخلوها في المجوسيّ واليهوديّ ، لانهم أرادوا اليَهوديِّين والمجوسيِّنّ ، ولكنهم حذفوا ياءي الإضافة ، وشبهوا ذلك بقولهم : زَنْجِيٌّ وزَنْجٌ ، إذا أدخلوا الالف واللام على هذا ، فكأنك أدخلتها على : يهوديِّين ومجوسيِّين ، وحذفوا ياءي الإضافة ، وأشباه ذلك . فإن أخرجتَ الالف واللام من المجوس صار نكرة ، كما أنك لو أخرجتها من المجوسيِّين صار نكرة[٢٢] .

والتَّهويد : أن يصير الإنسان يهودياً . وهاد وتَهَوَّد إذا صار يهودياً[٢٣] .

وقد جاءت لفظة (اليهود) في القرآن الكريم ثماني مرات ، وسنبدأ ـ بعون الله ـ البحث في المعاني

www.dorat-ghawas.com

المستخلصة ، ودلالاتها في الآيات البينات التي وردت فيها لفظة (اليهود) ، آخذين بالحسبان تقديم صورة شاملة عن اليهود من دون مراعاة ترتيب الآيات الكريمة بحسب ورودها في الذكر الحكيم .

(●) قال الله تعالى : « وقالتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيح ابنُ الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهِؤن قول الذين كفروا من قبل » (التوبة ٣٠)

قوله : « عُزَيْرٌ ابنُ » قرأه عاصم والكسائي بالتنوين ، جعلاه مبتدأ ، و « ابناً » خبره ، فثبت التنوين فيه ، وقرأ الباقون بغير تنوين في « عُزَيْر » جعلوه مبتدأ و « ابناً » صفة له ، فحذف التنوين فيه لكثرة الاستعمال ، ولان الصفة والموصوف كاسم واحد ، ويجوز أن يكون حذف التنوين لسكونه ، وسكون الباء من « ابن » واثبات التنوين ، مع كون « ابن » صفة ، لايحسن ، لأنَّه مرفوض غير مستعمل ، وهو الأصل ، إذا جعلت « ابناً » خبراً أثبتَ ألف الوصل في الخط في « ابن » فإذا جعلته صفة لم تثبت الألف في الخط في « ابن » ، و « عزير » على هذا مبتدأ ، والخبر محذوف ، تقديره : عزير بن الله نبيُّنا ، أو صاحبنا ، ويجوز أن يكون « عزير » مع حذف التنوين ، خبر ابتداء محذوف ، تقديره : صاحبنا عزير ، ونبينا عزير ، فإذا قدّرت حذف التنوين ، لالتقاء الساكنين ، جاز أن يكون « عزير » مبتدأ و « ابن » خبر ، كالقراءة الاولى ، وجاز حذف التنوين لالتقاء الساكنين، لانه مُشَبَّه بحروف اللين ، ألا ترى أن النون قد حذفت في (لم يكُ) كما حذفت الالف في (لم أبَل) ، وتبدل الالف من التنوين .

والاختيار : حذف التنوين ، لانه يجمع الوجهين ، وعليه أكثر القراء ، وأختار أبو عبيد التنوين على الصرف ، لانه أعجمي خفيف كـ (نوح ولوط) ، وتعقب عليه ابن قتيبة ، واختار ترك التنوين ، لانه أعجمي على أربعة أحرف ، وليس هو عنده تصغيراً ، إنما أتى في كلام العجم على هيئة التصغير ، وليس بتصغير ، والقول فيه ما قدمناه من العلة(٢٤) .

وذهب الزجاج الى القول : « ولا اختلاف ين النحويين أنّ إثبات التنوين أجود »(٢٥) .

وقوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله » إنما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كان بالمدينة ، وإنما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة ، وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً ، فتعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما هذا إلا لانه ابن الله ، والدليل على أن هذا القول كان فيهم ، أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب .

أما قوله تعالى : « وقالت النصارى المسيحُ ابن الله » هو أيضاً قول بعضهم ، وإنما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا أب أو لانه يفعل ما فعله من إبراء الاكمه والابرص ، وإحياء الموتى من لم يكن إلهاً « ذلك قولهم بأفواههم » إما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ، ونفي التجوز عنها ، أو إشعار بانه قول مجرد عن برهان ، وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه ولايوجد مفهومه في الاعيان(٢٦) .

فإن قال قائل : كل قول هو بالفم فما الفائدة في قوله « بأفواههم » . قال الزجاج : الفائدة فيه عظيمة بَيّنَة . المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان إنما هو قول بالفم لامعنى تحته صحيح ، لانهم معترفون بأن الله لم يتخذ صاحبة ، فكيف يزعمون له ولداً ، فإنما هو تكذُّب ، وقولٌ فقط(٢٧) .

قوله : « يضاهِؤن » قرأه عاصم بهمزة مضمومة ، وكسر الهاء ، وقرأ الباقون بضم الهاء ، من غير همز ، وهو معتل اللام ، كقولك : (قاضون) ، وهما لغتان : يقال ، ضاهَيْت وضاهات . وترك الهمز أكثر ، وهو الاختيار ، والمضاهاة المشابهة(٢٨) . أي : يشابهون في قولهم هذا ما تقدم من كفرتهم ، أي : إنما قالوه اتباعاً لمن تقدم من كفرتهم . الدليل على قوله : « اتَّخذوا أحْبارهم ورُهْبانهم أرباباً من دون الله »(٢٩) . أي قبلوا منهم أن العزيز والمسيح ابنا الله تعالى ، وهذا معنى : يضاهِئون قول الذين كفروا من قبل . وقرىء (يضَاهِيُون) ، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة ، والاكثر ترك الهمزة ، واشتقاقه من قولهم : امرأةٌ ضهْيَاء . وهي التي لاينبت لها ثدي ، وقيل هي التي لاتحيض . وإنما معناها أنها اشبهت الرجال في أنها لاثدي لها ، وكذلك إذا لم تحض . وضهياء (فعلاء)(٣٠) .

www.dorat-ghawas.com

(*) وقال تعالى : « وقالتِ اليَهوُدُ والنَّصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤُهُ قُلْ فلم يُعَذِّبكُم بذنوبكم » (المائدة ١٨) .

قالت كُلٌ منهما « نحن أبناء الله » أي كابنائه في القرب والمنزلة وهو كابينا في الرحمة والشفقة « وأحباؤه قُلْ » لهم يامحمد « فلم يعذبكم بذنوبكم » إن صدقتم في ذلك ، ولا يعذب الاب ولده ، ولا الحبيب حبيبه ، وقد عذَّبكم ، فانتم كاذبون ، بل أنتم من جملة من خلق من البشر لكم مالهم ، وعليكم ما عليهم [٣١] . ولستم كما قلتم : أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون أو المقربون عنده قرب الاولاد من والدهم . وإذا صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإنَّ من كان بهذا المنصب لايفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل ، والاسر ، والمسخ ، واعترفتم بانه سيعذبكم بالنار أياماً معدودة[٣٢] . لذا قال تعالى : « قُلْ فلم يُعذِّبكم » أي قل لهم « بل أنتم » ردّ لقولهم « نحن أبناء الله » وهو محكي بـ(قل)[٣٣] .

(*) قال الله تعالى : « وقالت اليَهوُدُ ليست النَّصارى على شيءٍ ، وقالت النَّصارى ليست اليهـود على شيءٍ وهم يتلون الكتـابَ » (البقرة ١١٣)

يعني به أن الفريقين يتلون التوراة ،وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابهم واحد ، فدلَّ بهذا على ضلالتهم ، وحذر بهذا وقوع الاختلاف في االقرآن ، لان اختلاف الفريقين أخرجهما الى الكفر . فتفهموا هذا المكان فإن فيه حجةٌ عظيمة ، وعِظةٌ في القرآن[٣٤] .

ذلك أن الآية الكريمة : نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله (ﷺ) وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا ، وتقاولوا بذلك (وهم يتلون الكتاب) فالواو للحال ، والكتاب للجنس ، أي ، قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب[٣٥] . وقال السيوطي : وقالت اليهود ليست النصارى على شيءٍ » معتد به ، وكفرت بعيسى « وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » معتد به ، وكفرت بموسى « وهم » أي الفريقان « يتلون الكتاب » المنزل عليهم ، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى ، وفي كتاب النصارى تصديق موسى ، والجملة حال[٣٦] . والعامل فيها (قالت) ، وأصل يتلون (يتلوون) فسكنت الواو ثم حذفت لالتقاء الساكنين[٣٧] .

(*) وقال تعالى : « ما كان ابراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » . (آل عمران ٦٧) .

تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) وزعم كل فريق أنه منهم ، وترافعوا الى رسول الله (ﷺ) فنزلت الاية الكريمة : « ياأهْلَ الكتابِ لم تُحاجُّون في إبراهيم وما أنزلتِ التوراةُ والإنجيلُ إلا من بعده » . (آل عمران ٦٥) . والمعنى : أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوارة والإنجيل على موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام) وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة ، وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما .[٣٨] وفي هذا يبين حجة على اليهود والنصارى جميعاً ، لان اليهود تدعى أنَّ إبراهيم كان يهودياً ، والنصارى تدعى أنه كان نصرانياً ، وتدفع اليهود عن دعواهم ، وليس يدفعون اسم صفته أنه كان مسلماً ، وأنه لم يكن اسمه يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولا مشركاً ، والتوراة والإنجيل أنزلا من بعده ، وليس فيهما اسمه بواحد من أديان اليهود والنصارى والمشركين ، واسم الاسلام له في كل الكتب ، فَدَفْعُ بعضهم بعضاً أن يكون مُسمَّى بالأسماء التي هي غير الاسلام ، دليل بَيِّن على نقض قولهم ، وبرهان بيِّن في تبرئة إبراهيم من سائر الاديان إلا دين الإسلام[٣٩] .

وبذا فإن القرآن الكريم قد كذَّب إدعاء التوراة التي كانت متداولة بين الناس عند نزول القرآن ، والتي بين أيدينا ، إذ نفى القرآن الكريم أن تكون هذه التوراة هي توراة موسى ، فنسب اليها القرآن التحريف والدس ، وهذا ماأيدت صحته الدراسات الحديثة[٤٠] . ومن هذه الادعاءات ، إدعاء التوراة : أن ابراهيم وحفيده يعقوب (اسرائيل) هم أجداد هؤلاء اليهود ، وأن اليهود هولاء من نسل يعقوب ، وأن دينهم هو دين ابراهيم[٤١] ، فجاءت الآية الكريمة « ما كان ابراهيم يهودياً ولا

www.dorat-ghawas.com

نصرانياً » . وهذا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان « ولكن كان حنيفاً مسلماً » مائلاً عن العقائد الزائفة « مسلماً » منقاداً لله ، وليس المراد أنه كان على ملة الاسلام ، وإلا لاشترك الإلزام . « وما كان من المشركين » تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيراً والمسيح ، وردّ لا دعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام.[٤٢] فقوله تعالى : « حنيفاً مسلماً »فإن معنى الحنف في اللغة : إقبال صدور القدمين كل واحدة على أختها إقبالاً يكون خلقةً لارجوع فيه أبداً ، فمعنى الحنفية في الإسلام الميل اليه ، والإقامة على ذلك العقد.[٤٣] وبذلك يكون القرآن الكريم أول من كشف لنا أن ابراهيم لم يكن على دين (يهوه) آله اليهود ، ولا يتصل عهد اليهود به لبعد الزمن ، ولاختلاف مفهوم العبادة عند ابراهيم ، واسحق ، ويعقوب عن مفهوم العبادة عند اليهود ، وجاءت الدراسات الحديثة ، والاكتشافات الاثرية تؤيد هذا الرأي تاييداً مطلقاً .

إن الديانة اليهودية في عهد موسى (ع) كانت في أصلها تقر بالبعث ، والنشور ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجنة ، والنار ، ولكن أسفار العهد القديم من التوراة التي بين أيدينا الآن تخلو من ذكر اليوم الاخر ونعيمه ، وجحيمه ، وهذا دليل آخر على أن هذه التوراة التي كتبها اليهود في الأسر هي غير التوراة التي جاء بها موسى ، وبهذا لم يبق ما يمكن أن يتمسك به اليهود من حجة بصلتهم ديناً ونسباً بموسى وقومه.[٤٤] لذا قال جل جلاله : « إنَّ أولى النَّاس بإبراهيم للذين اتَّبعُوه وهذا النَّبيُّ » (ال عمران ٦٨) . يعني محمداً (ﷺ) أي فهم الذين ينبغي لهم أن يقولوا إنا على دين ابراهيم ولهم ولاية[٤٥] . ويقرأ (النبيَّ) بالنصب عطفاً على الهاء في (اتبعوه) ، وبالجر عطفاً على ابراهيم[٤٦] .

ومن خلال ماتقدم يبين لنا القرآن الكريم أن اليهود قد اشركوا بقولهم : أنَّ (عزير) ابن الله ، كما قالت النصارى أن (المسيح) ابن الله ، كما « اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » (التوبة ٣١) . هذا فضلاً عن قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » وقولهم : « لن يدخل الجنَّةَ إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم » . (البقرة ١١١) .

ثم أن أهل الكتاب (يهوداً ونصارى) كانوا يحاجون في ابراهيم ، فاليهود ادعوا أن (ابراهيم) كان يهودياً ، والنصارى ادعوا أنه كان نصرانياً ، مع علمهم أن (التوراة) و (الانجيل) أنزلا من بعده ، وبذا قال سبحانه : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » ، ولكي يربط اليهود تاريخهم ، ونسبهم بـ(ابراهيم الخليل) وبحفيده يعقوب (اسرائيل) ، ويربطوا موسى بسلالة يعقوب شحنوا (التوراة) التي كتبوها ـ بعد أن فقدت توراة موسى ـ بحكايات وحوادث ، وأنساب لا أصل لها ولا وجود وقد كذبتها التوراة نفسها بحكاياتها وأساطيرها من حيث لم يلتفت اليها كتاب التوراة ، وجاءت شواهد الآثار تفند كل تلك المدعيات ، وتفصل بين عصر ابراهيم وأحفاده ، وجنسية موسى وديانته ، وبين عصر اليهود وجنسيتهم ، وقد أكد بعض علماء الآثار عدم وجود أية قرابة لليهود بالارامييين الذين ينتمي اليهم ابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، ويقول هولاء العلماء : أن الابحاث برهنت على عدم صحة الأساطير التي تقول بقرابة العبريين (اليهود) بالاراميين ، وإن من الحكايات ، والأخبار الواردة في التوراة التي تكذب نفسها بنفسها ، هي : القول بان كل الناس قاطبة هم أبناء ابراهيم ، ثم تناقض التوراة هذا القول بفكرة مضمونها : إن الإله (يهوه) قد قطع وعداً لابراهيم بان يفضل اليهود على جميع الاجناس الاخرى .

ثم هناك فكرة أخرى : هي الاعتقاد أن (يهوه) هو أعظم وأقوى آلهة القبائل جمعاء . وهذا اعتراف منهم بتعدد الآلهة بحيث يكون (يهوه) أقوى تلك الآلهة وأشدهم بأساً ، وهذا ينافي الوحدانية التي تسبغها اليهودية على إله واحد هو (يهوه) ، وغير هذا من المتناقضات الكثيرة[٤٧] . وقد أكد القرآن الكريم هذا بقوله تعالى : « قل اتحاجّوننا في الله وهو رَبُّنا وربُّكم » (البقرة ١٣٩) . قال الزجاج : أن الله عز وجل أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا مَنْ لايوحد الله عز وجل من النصارى وعبدة الاوثان ، فامر الله أن يحتج عليهم بانكم تزعمون أنكم موحدون ، ونحن نوحّد فلم ظاهرتم من لايوحد الله جل وعزّ وهوربنا وربكم . وقوله

www.dorat-ghawas.com

تعالى : « أم تقولون إنَّ ابراهيمَ واسماعيلَ وإسحق ويعقـوب والاسباط كـانوا هُـوداً أو نصـارى » . (البقرة ١٤٠) . كأنهم قالوا لهم : بأيّ الحجتين تتعلقون في أمرنا ؟ أبالتَّوحيد ، فنحن موحدون ، أم باتباع دين الانبياء فنحن متبعون [٤٨] .
وأنَّ دعوى الارتباط بـ (ابراهيم) عليه السلام دعوى فائلة ، لان : العصر الذي عاش فيه ابراهيم الخليل كان عصراً قائماً بذاته ، له طبيعته الخاصة ، وقوميته ولغته ، وهو مرتبط بالجزيرة العربية ، وبلغة (الام) وبقبائلها التي سميت فيما بعد بـ (العرب البائدة) لانقراضها ، ويعد المؤرخون : القبائل البائدة أو (العرب العاربة) كما تسمى أيضاً ، هي والقبائل الارامية التي كان ينتمي اليها ابراهيم الخليل من أصل واحد . كما أن الإله الذي كان ابراهيم يدعو الى عبادته هو غير إله اليهود (يهوه) لان دعوة ابراهيم كانت الى عبادة الإله الواحد دعوة عامة موجهة الى جميع الوثنيين في عصره ، من غير تمييز بين الناس ، ولم يكن قد وجد اليهود بعد ، وبعد أن انحرف اليهود عن ديانة موسى عبد اليهود إلاههم الخاص بهم الآله الذي لايهمه من العالم والخلق جميعاً غير اليهود الذين عدّهم (شعب الله المختار)[٤٩] . وبذا حق عليهم قوله عز وجل : « ومن أظلَمُ ممن كَتَم شهادةً عنده من الله » . (البقرة ١٤٠) . يعني بهم هولاء الذين هم علماء اليهود ، لانهم قد علموا أن رسالة النبي (ﷺ) حق ، وأنهم كفروا حسداً ـ كما قال الله عز وجل ـ [٥٠] وطلباً لدوام رياستهم وكسبهم ، لانهم كانوا يتكسبون بإقامتهم على دينهم [٥١] . أما الذين تلوا التوراة على حقيقتها ، فهم كما قال تعالى : « الذين آتيناهُمُ الكتابَ يَتْلونه حَقَّ تلاوته اولئك يؤمنون به » . (البقرة ١٢١) . أي : يؤمنون بالنبي (ﷺ) . وفي هذا دليل أن غيرهم جاحد لما يعلم حقيقته ، لان هولاء كانوا من علماء اليهود ، وكذلك من آمن من علماء النصارى ممن تلا كتبهم [٥٢] .
واختلف في إعراب الآية الكريمة ، قال الزجاج : (الذين) يرفع بالابتداء ، وخبر الابتداء (يتلونه) ، وإن شئت : كان خبر الابتداء (يتلون واولئك) جميعاً ، فيكون للابتداء خبران كما تقول : هذا حلو حامض [٥٣] .
وقال العكبري : (الذين) مبتدأ ، و (آتيناهم) صلته ، و (يتلونه) حال مقدرة من (هم) أو من (الكتاب) لانهم لم يكونوا وقت إتيانه تالين له ، و (حقَّ) منصوب على المصدر ، لانها صفة للتلاوة في الاصل ، لان التقدير : تلاوة حقاً ، وإذا قدم وصف المصدر وأضيف إليه انتصب نصب المصدر ، ويجوز أن يكون وصفاً لمصدر محذوف . و (أولئك) مبتدأ ، و (يؤمنون به) خبره ، والجملة خبر (الذين) ولايجوز أن يكون (يتلونه) خبر (الذين) لانه ليس كل من أوتى الكتاب تلاه حقَّ تلاوته ، لان معنى حق تلاوته العمل به[٥٤] . وهذا هو الارجح ، لانه تعالى قال : « وقالوا كونوا هُوداً أو نصارى تهتدوا قُلْ بل مِلَّةَ ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » . (البقرة ١٣٥) .
المعنى : قالت اليهود : كـونوا هـوداً ، وقالت النصارى : كونوا نصارى ، وجزم (تهتدوا) على الجواب للأمر ، وإنما معنى الشرط قائم في الكلمة ، المعنى : إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا ، فجزم (تهتدوا) على الحقيقة جواب الجزاء[٥٥] . وقوله عز وجل : « بَلْ مِلَّةَ ابراهيم حنيفاً » . قال سيبويه : أي بل نتبع ملّة ابراهيم حنيفاً ، كانه قيل لهم : اتَّبعوا ، حين قيل لهم : « كونوا هُوداً أو نصارى »[٥٦] . وتنصب (المِلَّة) على تقدير بل نتبع ملة ابراهيم ، ويجوز أن تنصب على معنى : بل نكون أهل ملة ابراهيم ، وتحذف (الاهل) . ويجوز الرفع : « بل مِلَّةُ ابراهيم » والاجود والاكثر : النصب . ومجاز الرفع على معنى : قل ملتنا وديننا ملّة ابراهيم ، ونصب (حنيفاً) على الحال ، فالمعنى : أن ابراهيم حنيف الى دين الله ، دين الإسلام ، كما قال عز وجل : « إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ » . (آل عمران ١٩) فلم يبعث نبي إلا به ، وإن اختلفت شرائعهم ، فالعقيدة توحيد الله عز وجل ، والايمان برسله ، وإن اختلفت الشرائع ، إلا أنه لايجوز أن تترك شريعة نبي أو يعمل بشريعة نبي قبله تخالف شريعة نبي الامة التي يكون فيها[٥٧] .

(*) لذا قال تعالى : « ولَنْ تَرْضى عنك اليَهُودُ ولا النَّصـارى حتـى تَتَّبِـعَ مِلَّتَـهُـمْ » . (البقرة ١٢٠) .

www.dorat-ghawas.com

« تَرْضى » يقال في مصدره : (رَضِي ، يَرْضى ، رِضاً ، ومَرْضاة ، ورِضواناً ، ورُضواناً ، ويروى عن عاصم في كل ما في القرآن من (رضوان) الوجهان جميعاً ، فأما ما يرويه عنه أبو عمرو فـ (رِضْوان) بالكسر ، وما يرويه أبو بكر بن عياش : فـ (رُضْوان) ، والمصادر تاتي على (فِعْلان) و (فُعْلان) فأما فِعْلان ، فقولك : عرفته عِرْفاناً ، وحسبته حِسْباناً ، وأما فُعْلان ، كقولك :غُفْرانك لاكُفْرانك [٥٨] .

والآية مبالغة في إقناط رسول الله (ﷺ) من إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم . فكيف يتبعون ملّته ، ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم [٥٩] . فـ (تتّبِعَ) نصب بـ (حتى) ، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه ، يقولون : إن الناصب للفعل بعد حتي (أن) إلا أنها لاتظهر مع حتى ، ودليلهم أنّ حتى غير ناصبة هو أن (حتى) بإجماع خافضة ، قال الله عزّ وجل : « سلام هي حتى مطلع الفجر » [٦٠] فخفض (مطلع) بـ (حتى) ولانعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل ، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل ، فقد بان أن (حتى) لاتكون ناصبة [٦١] . ولكن جاز وقوع المضارع المنصوب بعدها ، نحو : « سرتُ حتى أدخلها » وذلك بتقدير حتى أنْ أدخلها ، وأن المضمرة والفعل في تأويل مصدر مخفوض بـ (حتى) ولا يجوز سرت الى أن يدخلها ، قال ابن هشام :

وإنّما قلنا إنَّ النصب بعد حتى بـ (أنْ) مضمرة لابنفسها كما يقول الكوفيون لأن (حتى) قد ثبت أنها تخفض الاسماء ، وما يعمل في الأسماء لايعمل في الأفعال ، وكذا العكس [٦٢] .

ونصب « مِلّتهم » بـ « تَتّبِع » ومعنى (ملّتهم) في اللغة سنتهم ، وطريقتهم ، ومن هذا (المَلّة) أي الموضع الذي يختبز فيه لأنها تؤثر في مكانها كما يؤثّر في الطريق [٦٣] . لذا كان تمام الآية الكريمة : « قُلْ إنَّ هُدَى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وَليٍّ ولانصير » . قال البيضاوي : « قل » تعليماً للجواب « إن هُدَى الله هو الهدى » أي هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى الى الحق لاما تدعون اليه « ولئن اتبعت أهواءهم » آراءهم الزائغة ، والملّة ماشرعه تعالى لعبادة على لسان انبيائه من أمللت الكتاب إذا أمليته ، والهوى رأي يتبع الشهوة « بعد الذي جاءك من العلم » أي من الوحي أو الدين المعلوم صحته « مالك من الله من وليّ ولا نصير » يدفع عنك عقابه ، وهو جواب (لئن) [٦٤] . وقال الزجاج ، قوله تعالى : « أهواءهم » إنما جمع ولم يقل هواهم ، لأن جميع الفرق ممن خالف النبي (ﷺ) لم يكن ليرضيهم منه إلا اتباع هواهم . والخفض في قوله « نصير » هي القراءة المجمع عليها ، ولو قرىء : « ولا نصيرُ » بالرفع كان جائزاً ، لأن المعنى « من ولي » مالك من الله ولي ولا نصير [٦٥] .

ولأن حال اليهود ـ كما مرّ بنا ـ من شرك وبهتان ومعاداة للرسول الكريم (ﷺ) ، وإنكار لدعوته ، وموالاة الكفار والمشركين ، كان أمر الله سبحانه وتعالى النهي عن الاعتماد عليهم فـ « لا »

في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتَتَّخِذوا اليهود والنصارى أولياءَ بعضهم أولياء بعض ومَن يَتَوَلَّهُمْ منكم فإنه منهم » (المائدة ٥١)

موضوعة لطلب الترك . أي : لاتعتمدوا عليهم ، ولاتعاشروهم معاشرة الأحباب « بعضهم أولياء بعض » إيماء الى علة النهي ، أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الدين ، واجتماعهم على مضادتكم « ومن يتولهم منكم فانه منهم » أي : ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم ، وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم ، كما قال (ﷺ) : « لا تتراءى ناراهما » أو لأن الموالين لهم كانوا منافقين [٦٦] .

روي أن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال لرسول الله (ﷺ) : إن لي موالي من اليهود وكثيراً عددهم ، وإني أبرأ الى الله ، والى رسوله من ولايتهم ، وأوالي الله ورسوله ، فقال ابن أبي : إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي ، فنزلت : « فعسى الله أن ياتي بالفتح » [٦٧] . لرسول الله (ﷺ) على اعدائه « فيصبحوا » أي : هولاء المنافقون « على ما أسروا

www.dorat-ghawas.com

في أنفسهم نادمين » على ما استنبطوه من الكفر والشك في أمر الرسول (ﷺ) فضلاً عما أظهروه من الشك وموالاة الكفار مما أشعر على نفاقهم [٦٨] . لذا كان (النهي) بـ (لا) التي اختصت بالدخول على المضارع ، وتقتضي جزمه واستقباله ، سواء كان المطلوب منه مخاطباً نحو : « لاتتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء »[٦٩] ، أو غائباً نحو : « لايتخذِ المؤمنون الكافرين أولياء »[٧٠] . أو متكلماً[٧١] .

فالمعنى (الآية ٢٨ آل عمران) : أنّ من كان مؤمناً لاينبغي له أن يتخذ الكافر ولياً ، لان ولي الكافر راضٍ بكفره ، فهو كافر . قال الله جل وعز : « وَمَنْ يتولهُم منكم فإنّه منهم »[٧٢] . لذا نهوا عن مولاتهم لقرابة أوصداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبغضهم إلا في الله[٧٣] . خاصة وأن اليهود ـ فضلاً عما تقدم ـ قد افتروا على الله الكذب .

(*) قال تعالى : « وقالتِ اليهودُ يَدُ الله مغلولةٌ غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » (المائدة ٦٤) .

أي : قالوا يده مُمْسِكة عن الاتساع علينا . كما قال الله ـ جلّ وعزّ ـ « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » تاويله لاتمسكها عن الإنفاق . قال بعضهم : معنى « يد الله مغلولة » نعمَتهُ مقبوضة عنّا ، وهذا القول خطأ ينقضه : « بل يداه مبسوطتان » . فيكون المعنى : بل نِعْمتاه مبسوطتان ، ونِعَمُ الله أكثر من أن تحصى . وقال بعضهم : وقالوا يد الله مغلولة عن أعدائنا ، أي لايُعذِّبنا . وقال بعض أهل اللغة : إنما أجيبوا على قَدْر كلامهم . كما قالوا يدُ الله مغلولةٌ ، يريدون به تبخيل الله . فقيل : بل يداه مبسوطتان . أي : هو جواد ينفق كيف يشاء ، ومعنى غُلّت أيديهم ، أي جعلوا بخلاء . فهم أبخل قوم ، وقيل : غُلّت أيديهم ، أي : غُلّت في نار جهنم [٧٤] .

فـ « غلّ اليد وبسطها) مجاز عن البخل والجور ، ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل ، أو بسط ولذلك يستعمل حيث لايتصور ذلك كقوله :

جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده

وثني اليد مبالغة في الرد ، ونفي البخل عنه تعالى ، وإثباتاً لغاية الجود ، فإن غاية مايبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه ، وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة ، وعلى ما يعطي للاستدراج ، وما يعطى للاكرام « ينفق كيف يشاء » تاكيد لذلك ، أي : هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ، ويضيق أخرى على حسب مشيئته ، ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد[٧٥] . فـ (يُنْفق) مستأنف ، ولايجوز أن يكون حالاً من الهاء لشيئين : أحدهما : أن الهاء مضاف إليها . والثاني : أن الخبر يفصل بينهما ، ولايجوز أن يكون حالاً من اليدين إذ ليس فيها ضمير يعود إليهما[٧٦] . والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فإنّه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمداً (ﷺ) وأشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله[٧٧] .

وقال السيوطي : « يداه مبسوطتان » مبالغة في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه[٧٨] .

(*) أما قوله تعالى : « لتجدَنّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا » (المائدة ٨٢) .

ذلك أنّ اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين ، والمؤمنون يؤمنون بموسى والتوراة التي أتى بها ، وكان ينبغي أن يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنَبيُهم وكتابهم أقرب ، فظاهروا المشركين حسداً للنبي (ﷺ)[٧٩] . لشدة شكيمتهم ، وتضاعف كفرهم ، وانهماكهم في اتباع الهوى ، وركونهم الى التقليد ، وبعدهم عن التحقيق ، وتمرنهم على تكذيب الانبياء ، ومعاداتهم[٨٠] . هذا فضلاً عن المشركين من اهل مكة : لتضاعف كفرهم ، وجهلهم[٨١] .

فقول « لتجدَنَّ » اللام لام القسم ، والنون دخلت تفصِلُ بين الحال والاستقبال ، هذا مذهب الخليل وسيبويه ، ومن يوثق بعلمه . وقوله « عَدَاوةً » منصوب على التمييز[٨٢] . والعامل فيه « أشدُّ »[٨٣] .

www.dorat-ghawas.com

إنَّ من يتمعن النظر في الآية الكريمة يجد أنَّ قريشاً لم تكن وحدها العدو الذي ناصب المسلمين العداوة والبغضاء ، بل كان هناك اليهود من أهل المدينة وما حولها ، وإذا كانت قريش قد ناصبت الاسلام العداء لانها رأت فيه تهديداً مباشراً لسيادتها ، ورفاهيتها ، ومصالحها الخاصة ، فإن اليهود ـ كما يفترض ـ كانوا أهل علم وكتاب سماوي ، وكانوا أولى الناس بالايمان بالرسول الكريم (ﷺ) وأن يصدقوا كُلَّ ما جاء به مكملاً لدينهم ، بعد أن أتَمَّ الله نعمته على العالمين ، كما جاء مصدقاً لما بين أيديهم في الكتاب ، موافقاً لكل ما يعرفون في صفة هذا النبي (ﷺ) الذي يجِدونه مكتوباً عِندهم في التوراة ،

قال تعالى : « الذين يَتَّبِعُون الرَّسولَ النَّبِيَّ الأُميَّ الذي يجدُونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمُرهم بالمعروف وينهاهم عن المُنْكر » . (الاعراف ١٥٧) .

ولكن طبيعة الإثرة غلبت على نفوسهم ، فعزَّ عليهم أن يكون هذا النبي من العرب لامنهم ، وأن يزعزع مكانتهم الدينية أحد من غيرهم ، أو تشاركهم أمة أخرى في هذه الميزة لانهم كانوا يتوهمون ـ كما مرَّ بنا ـ أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وشعبه المختار في الارض ، وأن الرسل والانبياء لايكونون إلا منهم ، فلما أرسل الله سبحانه محمداً (ﷺ) من العرب لا منهم ، ملأ الحسد قلوبهم ، وأكلتهم الغيرة العمياء ، فحرفوا ما جاء في كتابهم عنه ، وغيروا كل ما يدل عليه من اسم أو صفة أو إشارة ، بعد أن أضمروا له البغضاء والعدواة والحقد ، ولمن اتبعه من المؤمنين . قال تعالى : « مِنَ الذين هادُوا يُحَرِفونَ الكِلَمَ عن مواضعه ويقولون سَمِعْنا وعَصَينا وآسمع غير مُسْمَعٍ وراعِنا لَيّاً بالسنتهم وَطَعْناً في الدِّين » . (النساء ٤٦)

ومع أن الرسول الكريم (ﷺ) كان يعلم ذلك من أمرهم إلا أنه دعاهم الى الإسلام في رفق ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، وتغاضى عن كثير من سيئاتهم ، وقال لهم كما جاء في القرآن الكريم : « قُلْ يا أهلَ الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سَوَاءٍ بيننا وبينكم ألا نعبُدَ إلا الله ولا نُشرك به شيئاً . ولايتَّخذ بعضنا بعضاً أرْباباً من دونِ الله » . (آل عمران ٦٤) . مذكراً إياهم بنعمة الله عليهم ،

قال تعالى : « يا بني اسرائيل إذكروا نِعْمتي التي أنعمتُ عليكم ، وأني فَضَّلتكم على العالمين واتقوا يَوْماً لاتجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يقبلُ منها شفاعةٌ ولايُؤْخذُ منها عَدْلٌ ولاهم يُنْصرون » .

(البقرة ٤٧ ، ٤٨) . إلا أن العدواة ظلت كامنة في نفوسهم منذ أن أظهر الله دعوته بالحق ، ثم اشتد سعيرها حين قدم (ﷺ) المدينة . روى ابن إسحق في حديث صفية بنت حيي بن أخطب ـ زوج رسول الله (ﷺ) ـ في ما سمعته من عمها ، وهو يقول لابيها : أهو هو ؟ قال : نعم ، والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته ـ والله ـ ما بقيت ! ذلك لأن اليهود كانت تنتظر مبعث الرسول الكريم (ﷺ) . وفي حديث ابن سلام ـ حبر اليهود وعالمهم ـ حين أسلم ما يوضح ذلك .

قال : لما سمعت رسول الله ، وعرفت صفته ، واسمه ، وهيئته ، وزمانه الذي كنا نتوكف له ، فلما قدم المدينة أقبل رجل يخبرني بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة جالسة في أسفل النخلة ، فلما سمعت بقدوم رسول الله كبَّرت . فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : لو سمعت بموسى بن عمران مازدت . فقلت لها : هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قالت : يا ابن أخي ، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ـ تعني أنه آخر رسول تقوم بعده القيامة ـ قلت لها : نعم . قالت : فذاك إذاً . ثم يقول : بعدها خرجت الى رسول الله (ﷺ) فاسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتي فامرتهم فاسلموا .

وفي أحد لم يشا اليهود والمنافقون أن يخفوا شماتتهم ، وفرحهم بما أصاب المسلمين ، فراحوا يجاهرون بها ، ويشككون في رسول الله (ﷺ) ودعوته بالرغم من أنهم كانوا أصحاب عهد مع رسول الله (ﷺ) بعد معركة بدر ، إلا أنهم سرعان ما نقضوا عهدهم ، وكاشفوا بالعداوة رسول الله ، واتباعه من المؤمنين . وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين من الثقة بهم ، والاطمئنان اليهم ، قال تعالى في سورة آل عمران

www.dorat-ghawas.com

(١١٩ ، ١٢٠) : « ها أنتم أُولاء تحبُّونهم ولا يحبُّونكم وتُؤمنون بالكتابِ كُلِّه ، وإذا لَقُوكم قالوا آمَنَّا وإذا خَلَوا عَضّوا عليكم الأنامِلَ من الغَيْظ ، قُلْ مُوتُوا بغيظكم ، إنَّ اللهَ عليمٌ بذاتِ الصُّدور(*) إنْ تَمْسَسْكم حَسَنَةٌ تَسُؤْ هم ، وإنْ تُصِبْكم سَيِّئَةٌ يَفْرحوا بها » .

وعندما خرج رسول الله (ﷺ) الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين اللذين أصابهما عمرو بن أمية من بني عامر ، حاولوا اغتياله بالقاء صخرة عليه وهو جالس الى جنب جدار من بيوتهم ، إلا أن إرادة الله ردت كيدهم الى نحورهم بعد أن أتي خبر السماء بما أراد القوم ، فقام (ﷺ) وخرج راجعاً الى المدينة ليأمر (ﷺ) بالتهيؤ لحربهم ، والسير اليهم .

لقد حفظ لنا التاريخ ـ قديمه وحديثه ـ أمثلة كثيرة على غدر اليهود وعزمهم على الانتقام من رسول الله (ﷺ) والمؤمنين ، ففي القديم : اتصالهم بقريش ودعوتهم الى حرب رسول الله (ص) ، ومن بعدها غطفان ، وهكذا جعلوا يحزبون الأحزاب ، ويؤلبون القبائل ، ويجمعون كل من له ثار عند رسول الله (ﷺ) حتى اجتمع لهم من قريش وغطفان ، وأسد ، وسليم ومن تابعهم من قبائل العرب نحو من عشرة الاف مقاتل ، هذا فضلاً عن غدر بني قريظة ، ونقضهم عهدهم ، ولولا عناية الله ونصره ، وردّ كيد الذين كفروا بغيظهم لكان لهذه الغزوة الأحزاب (الخندق) شأن آخر ، وتتوالى الأحداث في غزوة بني قريظة ، وخيبر التي أنهت القوة السياسية والاقتصادية التي تمتع بها اليهود في أرض العرب .

إنّ من يتأمل تاريخنا الحديث ، ومواقف اليهود من الأمة العربية (مادة الاسلام) لابد أن يدرك مدى الحقد الدفين الذي انطوت عليه نفوسهم ، والذي عبرت عنه الحركة الصهيونية لتنال من أمة العرب : أرضاً وتاريخاً وحضارةً ، وما المجازر البشعة التي ترتكب بحق أخواننا في فلسطين المحتلة ، والتي تاخذ الآن أشكالاً وصوراً متعددة إلا من ذلك الغيظ والحقد الذي تشربته نفوسهم ، وعبرت عنه إدارة الشر الامريكية بحق شعب العراق طيلة أكثر من إثني عشر عاماً ، ولم تستطع سماحة الاسلام ، وعدله ، ورأفته بهم أن تهذب منه قليلاً أو تحد من غلوائه .

> قال تعالى : « قُلْ يا أَهْلَ الكتاب لِمَ تَصُدّون عن سبيل الله من آمَنَ ، تَبْغونها عِوَجاً وأنتُمْ شُهداءُ وما الله بغافلٍ عَمّا تعملون » . (آل عمران ٩٩) .

والآن ، هل هناك من خيار غير الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمة الحق ؟ لأن فلسطين المحتلة لن تسترجع بالمساومات من موقع الضعف بل من خلال تثوير طاقات الأمة الكامنة واستنفارها بموقف قومي شامل .

الهوامش

(١) سورةالأعراف ١٥٦
(٢) ينظر : العين ٤/٧٦ ، واللسان (هود) .
(٣) سورة البقرة ٥٤ .
(٤) ينظر : شرح ديوان زهير ص (٢٣٥) وفيه : مخانةً . واللسان (هود) .
(٥) ينظر معاني القرآن واعرابه ٢/٤٢٠
(٦) اللسان (هود) .
(٧) اللسان (هود) .
(٨) الكتاب ٣/٢٥٤ .
(٩) تحصيل عين الذهب ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
(١٠) ينظر : السابق هـ (١٧٨٧) .
(١١) ينظر : شرح كتاب سيبويه لابي سعيد السيرافي (مخطوط) ٤/ ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
(١٢) المصدر السابق .
(١٣) العين ٤/٧٦ .
(١٤) معاني القرآن واعرابه ١/١١٨ .
(١٥) سورة الانعام/١٤٦ .
(١٦) اللسان (هود)
(١٧) معاني القرآن واعرابه ٢/٣٢١ .
(١٨) سورة البقرة ١١١ .
(١٩) اللسان (هود) .
(٢٠) إملاء ما من به الرحمن ١/٥٨ .
(٢١) اللسان (هود) .
(٢٢) الكتاب ٣/٢٥٤ ، ٢٥٥ .
(٢٣) اللسان (هود) .
(٢٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٥٠١ . وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢/١٣ .
(٢٥) معاني القرآن واعرابه ٢/٤٩٠ .
(٢٦) أنوار التنزيل ١/٤١٢ .
(٢٧) معاني القرآن واعرابه ٢/٤٩٠ .
(٢٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٥٠٢ .
(٢٩) سورة التوبة/٣١ .

www.dorat-ghawas.com

(٣٠) معاني القرآن واعرابه ٢/ ٤٩٠ .
(٣١) ينظر : تفسير الجلالين ص ١٣٩ .
(٣٢) ينظر : أنوار التنزيل ٢٦٨/١ .
(٣٣) إملاء ما من به الرحمن ٢١٢/١ .
(٣٤) معاني القرآن واعرابه ١٧٣/١ .
(٣٥) أنوار التنزيل ٧٧/١ .
(٣٦) تفسير الجلابين ص . ٢٢ .
(٣٧) إملاء ما من به الرحمن ٥٨/١ .
(٣٨) ينظر : أنوار التنزيل ١٦٥/١ .
(٣٩) معاني القرآن واعرابه ٤٣٢/١ .
(٤٠) ينظر : الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص ٨٠ .
(٤١) السابق ٨١ . وينظر : قول الخليل في هامش (١٣) .
(٤٢) أنوار التنزيل ١٦٧/١ .
(٤٣) معاني القرآن واعرابه ٤٣٣/١ .
(٤٤) لمزيد من التفصيل ، ينظر : الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص ٨٠ - ٨٢ .
(٤٥) معاني القرآن واعرابه ٤٣٣/١ .
(٤٦) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ١٣٩/١ ، وأنوار التنزيل ١٦٦/١ .
(٤٧) ينظر : الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص ٦٨ .
(٤٨) ينظر : معاني القرآن واعرابه ١٩٨/١ .
(٤٩) ينظر : الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ص ٦٩ ، ٧١ .
(٥٠) ينظر : سورة البقرة/١٠٩ .
(٥١) معاني القرآن واعرابه ١٩٩/١ .
(٥٢) السابق ١٨٢/١ .
(٥٣) السابق .
(٥٤) إملاء ما من به الرحمن ١٦١/١ .
(٥٥) معاني القرآن واعرابه ١٩٣/١ .
(٥٦) الكتاب ٢٥٧/١ .
(٥٧) ينظر : معاني القرآن واعرابه ١٩٤/١ .
(٥٨) السابق ١/ ١٨٠ . وفي اللسان (رضي) : القراء كلهم قرؤوا الرُّضوان بكسر الراء ، إلا ماروي عن عاصم أنه قرأ رُضوان .
(٥٩) أنوار التنزيل ٧٩/١ .
(٦٠) سورة القدر ٥ .
(٦١) ينظر : معاني القرآن واعرابه ١٨٠/١ .
(٦٢) المغني ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٦٣) معاني القرآن واعرابه ١٨١/١ .
(٦٤) أنوار التنزيل ٧٩/١ ، ٨٠ .
(٦٥) معاني القرآن واعرابه ١٨١/١ .
(٦٦) أنوار التنزيل ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ .
(٦٧) سُورة المائدة ٥٢ .
(٦٨) ينظر : أنوار التنزيل ٢٧٩/١ ، وتفسير الجلالين ص ١٤٧ .
(٦٩) سورة الممتحنة ١ .
(٧٠) سورة آل عمران ٢٨ .
(٧١) ينظر : المغني ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٧٢) معاني القرآن واعرابه ٣٩٨/١ .
(٧٣) أنوار التنزيل ١٥٥/١ .
(٧٤)معاني القران واعرابه٢٠٨/٢ .
(٧٥) أنوار التنزيل ١ / ٢٨٣ .
(٧٦) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٢٢١ .
(٧٧) أنوار التنزيل ١ / ٢٨٣ .
(٧٨) تفسير الجلالين ص .١٤٩ .
(٧٩) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٢١٩ .
(٨٠) أنوار التنزيل ١ / ٢٨٨ .
(٨١) ينظر : تفسير الجلالين ص .١٥٣ .
(٨٢) معاني القرآن واعرابه ٢ / ٢١٩ .
(٨٣) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٢٢٣ .

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم .
- إملاء ما من به الرحمن : لابي البقاء المكبري ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، البابي الحلبي ، مصر ط ٢ ١٩٦٩ .
- انوار التنزيل واسرار التاويل : البيضاوي . "مابي الحلبي ، مصر ط ٢ ١٩٦٨ .
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب : الاعلم الشنتمري ، حققه وعلق عليه : د. زهير عبد المحسن سلطان ، دار الشؤون الثقافية - بغداد ط ١ ١٩٩٢ .
- تفسير الجلالين : السيوطي ، مكتبة النهضة - بغداد ، مطبعة بابل ١٩٨٤ .
- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى : صنعة ثعلب . مصورة عن دار الكتاب المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ .
- شرح كتاب سيبويه لابي سعيد السيرافي (مخطوط) مصورة دار الكتب المصرية (٥٢٨ نحو - تيمور) .
- العين : الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ٨٠ - ١٩٨٥ .
- الكتاب : سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع : مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د. محيي الدين رمضان ، مطبعة خالد بن الوليد - دمشق ١٩٧٤ .
- اللسان : ابن منظور ، دار صادر - بيروت (ب . ت) .
- معاني القرآن واعرابه : الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، المكتبة المصرية - بيروت ١٩٧٤ .
- الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ : جعفر الخليلي ، دار الرشيد للنشر - بغداد ، ط ٢ ١٩٧٩ .
- المغني : ابن هشام ، تحقيق د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر - بيروت ط ٣ ١٩٧٢ .

www.dorat-ghawas.com